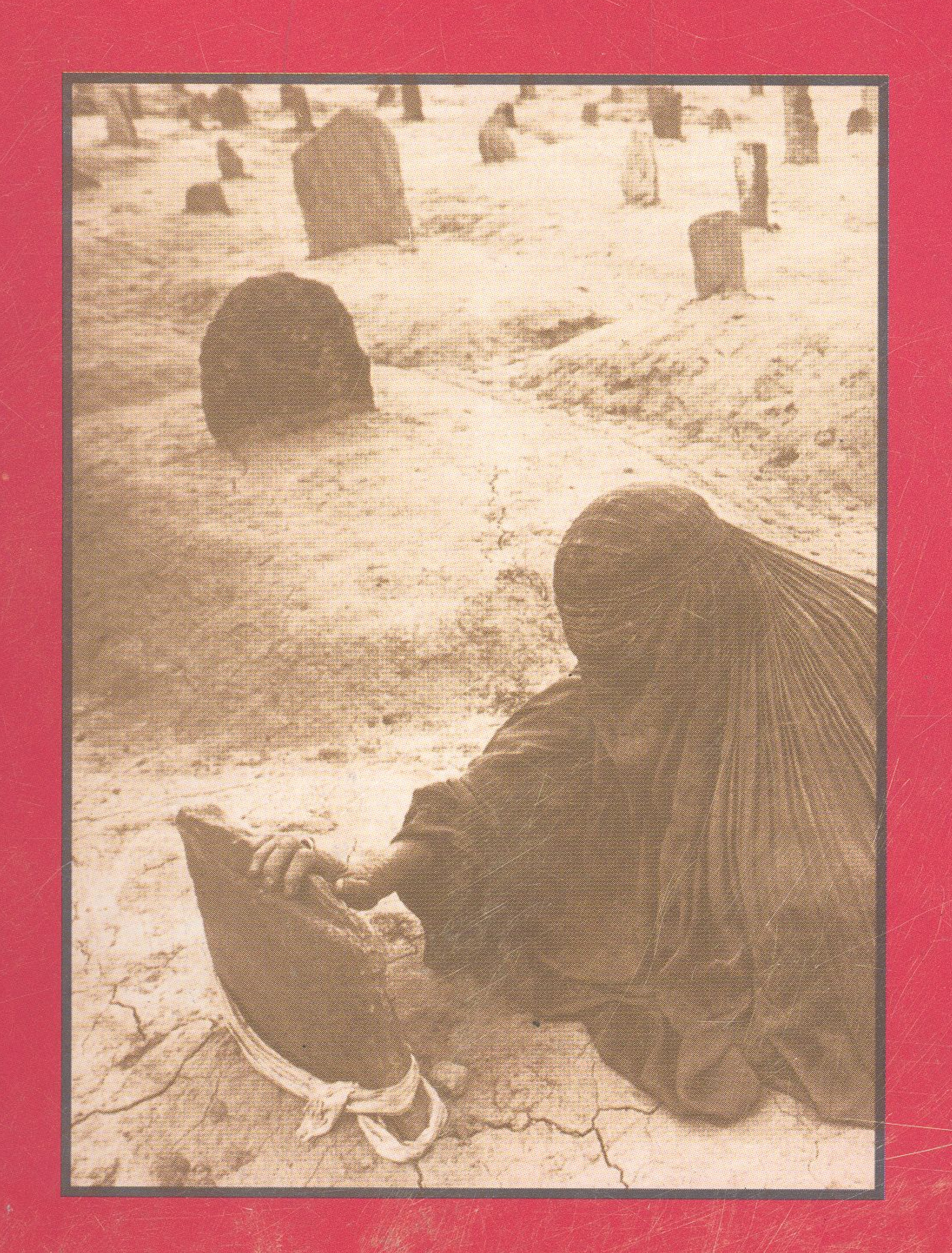
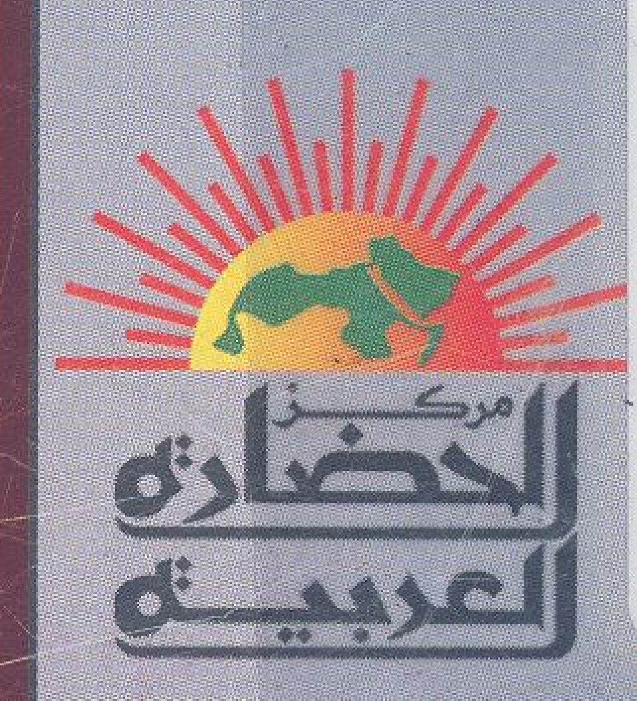
شريف رزق

حيوات مفقودة







حَيَوَاتٌ مَفْقُودَة

شعـر



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات او مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق اهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

◆

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس : 3448368 (00202)

E mail alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

حَيَوَاتٌ مَفْقُودَة

شريف رزق



الكتاب : حيوات مفقودة
شعر

الكاتب : شريف رزق

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى : القاهرة ٢٠٠٣

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٨١٠٠
الترقيم الدولى : I S B N.977-291-454-9

الغلاف
تصميم الغلاف : للشاعر
لوحة الغلاف الخلفى: د. عماد رزق
جرافيك : ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الالكترونى :
وحدة الكمبيوتر بالمركز

حَيَوَاتٌ مَفْقُودَة

إلى علاء عبد الهادي

عن السِّراج عن الشَّيخِ العارفِ أبي الحسنِ عليٍّ القرشيِّ قال : " دخلتُ علـــى قضيـبِ البانِ ببيتِهِ بالموصل ؛ فرأيتُهُ مِلءَ البَيت ، فهالنِي ما رأيتُ من نموهِ الخارقِ ؛ فخرجـتُ ، ثم عدتُ ؛ فرأيتُهُ فِي زاويةٍ من زوايا البيتِ مثل العصفورِ ؛ فخرجــتُ ، ثــم عــدتُ ؛ فرأيته كالعادة ... "

" وعن قاضي الموصل قال : كنتُ مُسيءَ الظَّنِّ بقضيبِ البانِ ، مع ما اشتُهرَ عنه مـــن الكرامات ، وأضمرتُ سِرًّا أن أُخرجه بالسُّلطانِ من الموصل ، فبِنا أنا في زقاقٍ إذا رأيته آتياً من صدره ، ولم يكن ثَمَّ غيري وغيره ، قلتُ : لو كانَ ثَمَّ أحد أمرتـــه بإمســاكه ، فمشى الخطوات ، فإذا هو بصورةِ كرديٍّ وهيئته ، ثم أُخرى ، وإذا هو بدويٌّ كذلك ، ثم أُخرى وإذا هو فقيه كذلكَ ، ثم قال : يا قاضيِ هذه أربعُ صورٍ ؛ فمن هو قضيبُ البــانِ منهنّ حتَّى تخرجه بالسُّلطان ؟ . قال : فلم أتمالك إلاَّ أن نزلتُ أُقَبِّلُ أقدامـــه ، ويديـــه ، واستغفرتُ .. ".

" واتَّهمه بعضُ مَن لم يره يُصلِّي بترك الصَّلاةِ ، وشدَّد النكيرَ عليه ؛ فتمثَّلَ لــــه علـى الفور فِي صورٍ مختَلفةٍ ، وقال : فِي أيِّ هذه الصُّورِ رأيتني ما أُصلِّي ؟.."

النِّبهاني – جامع كرامات الأولياء –
الجزء الثَّانِي – ص : 24 وما بعدها

حَيَوَاتٌ مَفْقُودَة

I

وَلَمْ يكدْ شَرِيفُ يخرجُ من أُمِّهِ حتَّى مَشَى
، وتَوَقَّفَ ، وصَاحَ :

هَذا أنَا

وَهَذِه وِلادتِي الأخيرةُ

فَاسْتغفري يتُها الطَّواغيتُ

واصَّدعيِ يا جبالُ

هَذا أنَا

سأَضَعُ حدَّاً للنَّازِعات

ولَلفَنَاءْ

تأكّدتُ أنّه مِنَ المستحيلِ على ذاكرتيِ الحاليةِ أنْ تستعيدَ ليِ لحظــةً واحــدةً
كنتُ فيها ديناصوراً منذ خمسةٍ وستينَ مليونِ عــامٍ، علــى الأرجــحِ ، بالواحــاتِ
البحريةِ، شَاهِقاً فيِ الموتِ .

كنتُ الوحيدَ الذي يستمعُ إلى تقريــرِ الـــ C.N.N عــن اكْتِشَــافِ بقَايــا
الدّيناصُورِ المِصْريِّ وتحرِقُهُ مَرَارةُ الذَّاكرةِ المبتورة .

كنتُ الوحيدَ الذى يبكيِ .

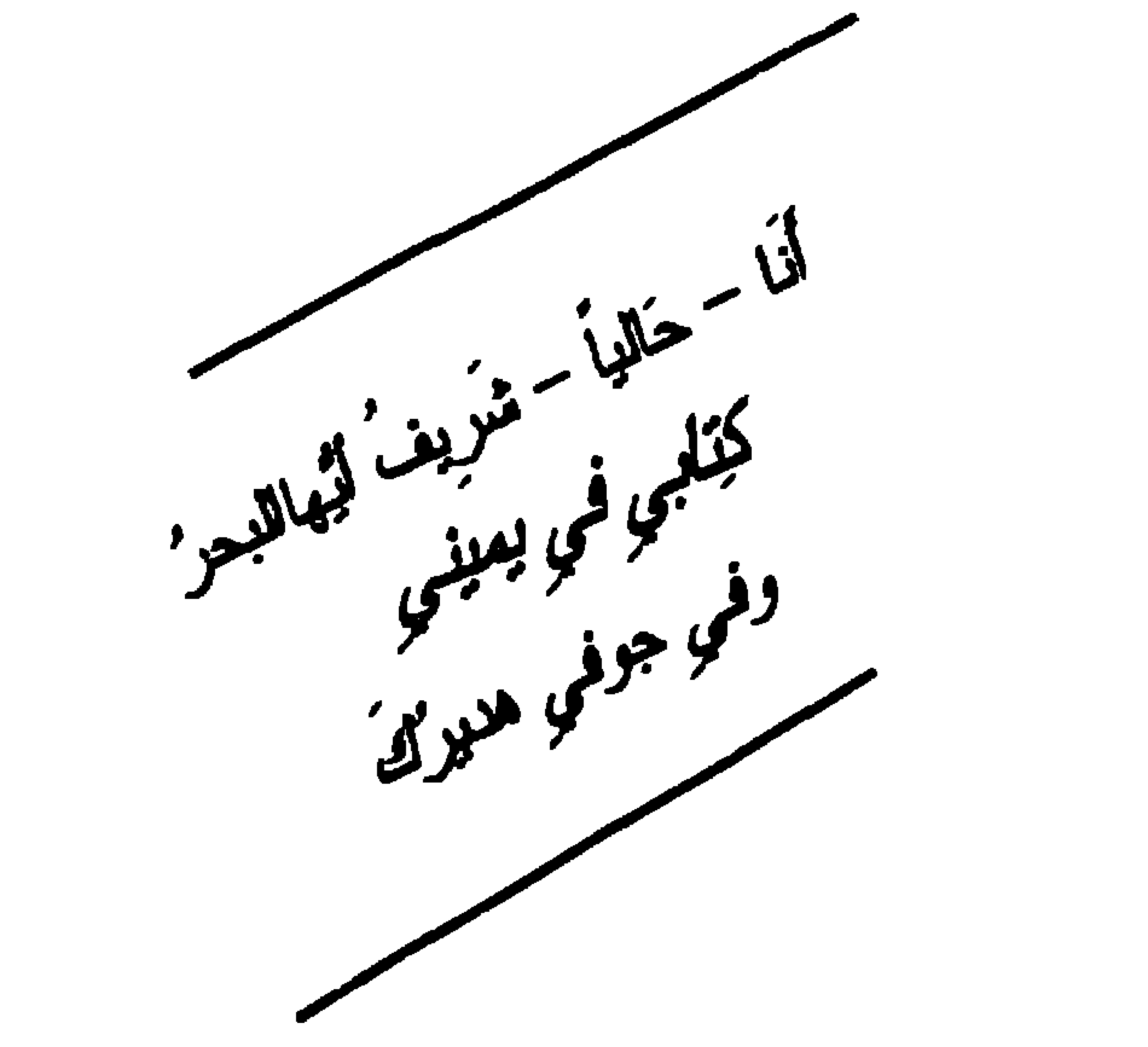
أُحدّقُ فيِ بقايا الدّيناصُورِ ، وعبثاً أُحاول أن أستعيدَ حالةً واحدةً كنتُ فيها فيه .
أُمدّدُ جسديِ على الأريكَةِ ، مُغمضاً عينيَّ ، ومُستجمِعاً ، دونَ أنْ تجيءَ لحظةٌ ، كنتُ
فيها دِيناصُوراً ، أو حُوْتاً ، أو ثوراً ، أو شَجرةً ، أو مَاءً ، قبلَ أن أُولــدَ ولادتــي
الأخيرةَ .

يِ ن ع ب ي ر غ يِ د س ج
يِ ل ا ل م ل ا ع ل ا ا ذ هــ ل يِ د س ج

ما الذي تبتغيهِ أيُّها العُقَابُ
وأنتَ تحطُّ إلى جسدي في كلِّ صباحٍ
مُتغرغراً بأناشيدي القديمةِ
ومُحوِّماً في فَضَاءِ عيوني ؟

صَبَاحُ الخيرِ أيُّها الحِصَانُ
لا تَسْتَرِبْ أو تَتَمَلْمَلْ
تأمَّلْ !
ألا تعرفُنِي؟

تعالَ مَعي يا أخيِ إلى البريَّةِ
نقطعُها مَعاً
أنَا وأنتَ
كِلاَنا
مَعَاً
الشَّمسُ مريضةٌ هُنا والرِّيحُ ليستْ على ما يُرَامُ
وبيِ شوقٌ إلى احتداماتِنا الأُولى فيِ الخَوَاءْ ..



أيُّها الديناصورُ فيَّ
أيُّها الحُوتُ الأزرقُ
يا وحيدَ القرنِ
أيُّها العُقابُ
أيُّها الثَّورُ
أنت أيُّها الفيلُ الاستوائيُّ

لكُلِّ صَبْوةٍ وَاشْتِهاءْ
طَلْقَةٌ فِي مَنَازِلِ الأحشاءْ

أَبَداً ،
لَنْ تموتَ ،
مَرَّةً أُخرى

على ربوةٍ مهجورةٍ
سأبتني لي قبراً
قبراً على قدِّ قُرفصائيِ
وأثقبُ فيِ صدرهِ كُوَّةً
لأطِلَّ منها
وتتسرَّبَ رائحتيِ
إلى المداخِلِ

وجمعتُ فيِ ذلكَ المشهدِ بيـن
شهودِ نفسيِ فـيِ مكـانين :
فإنِّي كنتُ داخلَ العرشِ بيقيـنٍ
وأرى نفسيِ خارجَهُ بيقيـنٍ ،
فبينما أنا واقفٌ كذلك إذْ جَـاءَ
طيرٌ أبيضُ طويلُ العُنقِ ، ففتحَ
فاه والْتَقَمَ الوجودَ ، وطارَ بـه
، فَصِـرْتُ أرى نفسـيِ فـيِ
حوصلتِهِ ، وأنا خارجهَا ، ثُـمَّ
جـاءتْ ناموسـةٌ صغـيرةٌ ،
ففتحتْ فاها والتقمت الطَّـائرَ
بمـا حَـواه ، وَغَـابتْ
....
....
....

لا يُصدِّقونَ أنَّني ألْتقي بِمُحيي الدِّين بن عربيٍ صباحاً ومساءً أموت .

أنْتِ عاصفةٌ تُجمِّرُني هُنا
وأنا انْفجارُكِ تحت جِسْمي في المدى

وأعجبُ الأحوالِ حالي ؛ فرغم أنَّني لم أذُقْ طَعَامـــاً منذُ لم أعُدْ أدري ، تحطُّ على رأسي الطُّيوُر ، وتأكلُ ما تشتهي ، وأنا كحربةٍ مزروعةٍ في كَبِدِ الأرضِ العَرَاءِ أُرتِّلُ :

" وما أنتم في تصديقِ هُوْدٍ بِصَادِقين ۞ ولقد أرْسَلَ اللّهُ قوماً بالمؤتفكاتِ يضربونَنا ويأخذون أموالنَا وما لنا من ناصرين .۞ " فتتأوَّه الأطيارُ حتَّى تبيضَّ أعينها مِنَ الدَّمع حزَنا ، وتُولِّي مُحلِّقاتٍ ، فأُتمتمُ :

اللهمَ اجْعَلْ ثوابَ ما قَرَأنا مِنَ الكــلامِ العزيــز فــي صَحَائفِ شَريفَ الذي كانَ في جَسَدي ، وصَحَــائفِ أخي أبي يزيدَ ، وصَحَــائفِ إبراهيــمَ الدســوقيِّ ، وصَحَائفِ أخي عَلاءْ .

يتوهَّجونَ على الأهلَّةِ كلَّ ليلةْ
ويتتابعون- كالجنازةِ - شَرِيفاً إثْرَ شَرِيفْ

18

سَرِيرُكَ المستجِيرُ منكَ بِرمضائِكَ، سَرِيرُكَ هذا ، الفوضويُّ، ذو القميصِ المُضَــرَّجِ بدماءِ الحَدَاثةِ وصِرَاعِ الحَضَارات ، منفاكَ وقبرُكَ ، صَدِيقُ الكوابيسِ والاشــتهاءاتِ المُرِيعةِ ، قرينُ الوحشةِ ، سَرِيرُكَ هذا : الذي
يتوهَّجُ في السَّماءِ ، مُقطِّراً
دَماً عليكَ ،
سَرِيرُكَ

تنبّهتُ بإلهامٍ خاطفٍ إلى أنَّنِي لا أحدَ
لا أحدَ
على الإطلاقِ لا أحدَ

سأُعلِّقُ على جِدَارِ البيتِ جُثَّتِي الأخيرة

وأجلسُ عارياً في العَرَاءِ

هــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـ كذا

19

وَمِنْ عادتي ، أَنْ أتطلَّعَ إلى تقاطيعِ وجــهيِ ، فــيِ كــلِّ صبــاحٍ ، وأنْ أتخلَّــلَ ، بأَصَابعيِ، شَعْرِيِ الطويلَ ، وأن أتهيأَ لحلاقةِ ذقنيِ ، هكذا ، دائماً ، فيِ كلِّ صبَاحٍ ، غيرَ أننيِ ، فيِ هذا الصَّباحِ ، تنبَّهتُ إلى أنَّني لستُ فيَّ الذيِ فيِ المــرآةِ ، ومــن ذهوليِ ، إلى أُميِ خرجتُ ، بلا غايةٍ ، مُتماسكاً ، ومشطوراً ، معاً ، معــاً، غــير أنَّها واصلت انْهِمَامَهَا بِشايِ الصَّباحِ ، وواصلتُ ، فيِ مَيَادينِ الجســدِ الغريــبِ ، الصُّراخَ ، ولم أزلْ ، فيما أُواصِلُ أداءَ الدَّورِ المُحتَّمِ بِنفسِ الهدوءِ ، فيِ كلِّ مكانٍ ، والحقيقةُ التيِ لا لبسَ فيها هيَ أنَّنيِ الآنَ لا أحدَ ، الــ لا أحدَ الأكيدَ ، وأننيِ أتقبَّــلُ بمُنتهي الآليةِ والاستسلامِ ، هذا الوضعَ الأليمَ ، وأنَّ عليَّ ، إلى النِّهايةِ ، مواصلــةَ أداءِ الدَّورِ باقْتِدَارْ.

20

على حينِ بغتةٍ رأيتُهُ ، بينَ أُسرَتي ، بشـــروده المســتديم ، وأوراقِــهِ ، بعينيــهِ المتحيِّرتينِ خلفَ نظَّارتِهِ ، وإرهاقِهِ ، بملابسِهِ المنزليةِ الرَّثَةِ ، وخُطواتِهِ المتكرِّرة، بينَ المكتبةِ والأريكةِ ، شايِهِ وتوتُّره ، كان طيفُهُ على الأرجحِ ، في جسدٍ مُطابقٍ ، زلزلني ، للحظةٍ ، وتولَّى ، هو الذي لم أعُدْ واثِقاً بوجوده تماماً أو غيابِهِ .

بوجودي بينهم أو غيابي

لم أعُدْ أراه بينهم

ولم أعُدْ بينهم ،على الأرجحِ .

21

الرحمةَ يا رامبو
ياسان جون بيرس
يا هنريِ ميشو
يا فرناندوبيسّوا
يا كافكا
ياجوته
ياأحشائيِ

2

هَلْ تعلمُ يا علاءُ حجمَ الكارثةِ :
أنْ تكتشفَ أنَّكَ لستَ الذي فيكِ
- فِعْلاً لا مَجَازاً -
وأنَّكَ - حيثُ لا تدريِ - نَسَيْتَكَ
أنْ تتطايرَ كُلَّما احْترقَ الغَمَامُ
وأنْ تتجَّمعَ - كَقُنبلةٍ مَوْقُوتةٍ -
على شاطئٍ مهجورٍ
تُرتِّلُ ما تيسَّرَ مِنَ (المُكابداتِ)
ولتكُنْ ما تلي ؟،

1

لا أستطيعُ ، رُدَّني
إليَّ مِنكَ ، فيكَ ، رُدَّني
إليَّ ، سُلَّني
مِنَ الجحيم ضَمَّني وَضُمَّني
وَألقِني عليّ

ياآخذي مِنِّي
ها فيِ الصَّحاريِ ضَائعٌ دميِ
وفوقَ الماءِ جَمْرةً يسيرُ يا
ياآخذيِ مِنِّيِ ، وقلبيِ فوقَ نخلةٍ
بعيدةٍ ، فيِ صَحَراءِ الليلِ ، وَحْدَها
تُضيءُ يا
يا خَاطِفيِ مِنِّي ، ولَمْ تَزَلْ
أَصَابِعيِ .
فيِ طُرُقاتِ الرِّيحِ ، وَحْدَهَا
تَسيرُ
لُمَّني
وضُمَّنيِ
وألقِنيِ
عليّ

-:أيَّتُها العَصَافِيرُ البَهِيَّةُ الخَضْرَاءْ!
تَلَفَّتتْ ،
ووَاصلَتْ صُعُودَها في شَهْقَةِ الفَضَاءْ
ووقَفَتْ
فَوْقَ القِبابِ السَّاطعاتِ فَوْقَ أَحْدَاقِ
السَّماءْ ، ولوَّحتْ
بالأبيضِ المكنونْ
للنَّخلةِ التي
تُظلِّني
مِنْ مَطرِ الجُنُونْ .

-: أيَّتُها العَصَافِيرُ البَهِيْجَةَ الخَضْرَاءْ !
ياكائِنَاتِهِ الَّتي انْكَشَفَتِ لي
حُطِّي على
أغْصَانِ قلبي ، وَامْلَئيني
بأغانيهِ الرَّطيبةِ ، املَئيني
يَتُها النَّبيةُ الخَضْرَاءْ !

41

إنَّني
واقفٌ فِي
فضاءِ ورَيدي
وحيدي
أُطالعُ فيَّ البعيدَ
أُنادي علَيَّ

ماعُدْتُ
ياويلتي
مِنْ غيابيَ فيكَ
ومِنْ وحْشتي فيَّ
ياويلتي
رُدَّني
رُدَّني
إنَّني

البناياتُ تصْحو
النُّجيماتُ تخبو
أناملُها في السَّماءِ

أيا مَنْ تُجالسُني
في البعيدِ
أبحثُ فؤادي
لِخطوكَ
فارقْتُني فيكِ

هَلْ تعلمُ يا عَلاءُ حَجْمَ الكارِثةِ !
هَلْ تعلمُ حجمَ الكارِثةِ
يا عَلاءُ هَلْ تعلمُ
حَجْمَ الكارِثةِ
يا عَلاءُ ؟

عَلى هَذه الطَّاولةِ كان يجلسُ
حِينَ رَأيتُهُ قلتُ إنَّه أنَا
بإطراقتِهِ المُستديمةِ وإشراقاتِهِ
هَاهُنَا كانَ يجلسُ
بأوراقِهِ التي يتأمَّلُ فيها ويَسْهُو
خُلْسةً تولَّى ولمْ يعُدْ
تاركاً على الطَّاولةِ أوراقَهُ المنتظِرَةَ
أوراقَهُ التي حينما اقْتربتُ منها قَرأْتُ :

حَيَواتٌ مَفْقُودَةٌ



الآنَ ، هُنَا ، سأستريحُ ، أُجمِّعُ بعضاً مِنَ الكُتُبِ ،
وأتمدَّدُ على الكنبةِ ، أُنقِّلُ عينيَّ بينِ السُّطور
، وأحياناً أُوجِّهُما إلى شاشةِ التليفزيونِ ، ساعاتٍ
على هذهِ الحالِ ، وأحياناً أقومُ إلى المكتبةِ ، وأرجعُ
بكتابٍ جديدٍ ، هكذا لساعاتٍ أو أكثرَ حتَّى أنامَ ،
وأحياناً أقومُ وأسهو
هَاهُنا راحتي الحقيقيةُ
راحتي التي غلَّقتُ بابي عليها وعليَّ
راحتي الأبديةُ

20 يونيه 2001

اللَيلةَ ، فَجْأَةً ، صَحَوْتُ
على ظمأٍ وسُعَالٍ ،
وَخَطَوتُ
ـ مُتعثِّراً ـ إلى زُجاجةِ المياهِ
غيرَ أنَّها باغتتني
قَادمةً فِي الهواءِ
كَأَنَّ يداً ، فِي الخَفَاءِ ، تحملِهُا
حتَّى استقرَّتْ على فمي
فِي هُدوءٍ شربتُ
دونما ارْتجافةٍ واحدةٍ
كنتُ أعلمُ أنه بلا شكٍّ هُنَا
ولكنَّنِي واصلتُ نومِي العميقْ ..

1

21 يونيه 2001

الليلةَ ، أيضاً صَحَــوتُ علــى ظَمَــأ وسُــعَالٍ
وتوجَّهتُ إلى الزُّجاجةِ ، كما فــي كُــلِّ مــرَّةٍ
على يقينٍ بأنَّــها ســترتفعُ ، وَحْدَهــا ، كمــا
مِن قبلُ إلى فمي ، وأنَّني لن أرتجــفَ أيضــاً
، ورفعتُ يدي فــي هــدوءٍ ، كإشــارةٍ منِّــي
، ســيعقُبُها ارْتفــاعُ الزُّجاجــةِ ، وَحْدَهــاَ ،
غــيرَ أنَّ يــدي لــم ترتفــعْ ، وحــاولتُ
مُسرعاً ، مرَّةً أُخرى ، فلمْ أجدْهَا ..

2

الليلةَ ، أيضاً ، صَحَوتُ، على شُعورٍ مُتزايدٍ ، بأنَّني مُحاصَرٌ بالقَتَلَةِ المُتحلِّقينَ ، فتحتُ عينيَّ على رُعبٍ ثقيلٍ ، ولم أجِدْ أحداً ، ولكنَّنِي ظَلَلْتُ على ثقةٍ من أنَّهم يملئون الهواءَ ، تماسكتُ ، كما فِي كُلِّ مرَّةٍ ، وَظَلَلْتُ حتَّى غفوتُ ، ولكنَّنِي صحوتُ ، للحظةٍ واحدةٍ ، واحدةٍ ، لحظةٍ ، شاهدتُ فيها **(مَجَرَّةَ النِّهايات)** تتعلَّقُ فِي هواءِ الحُجرةِ كأنَّ يداً - لا أراها رَفَعَتْها للقراءةِ , وبرغم ذُعرِي المباغِتِ ، ظللتُ ، وواصلتُ نومِي العميقْ ..

28 يونيه 2001

سَاءَتْ حالتيِ

فأحياناً أقومُ مِنَ النَّومِ فجأةً ،

فلا أجدُ حُجْرتيِ في حُجْرتيِ

ولا أَنَا فيِ الـــ أَنَا

وأحياناً أقومُ

ـ للتَّبولِ مثلاً ـ

فَأَجِدُنيِ ، مُلطَّخاً بالدِّماءِ ،

وأحياناً ينامُ جَسَديِ

وأظلّ سَهْرَانَ بجانبهِ

مِنَ الخوفِ

ومَعَ هذا صبَرْتُ

4

29 يونيه 2001

أنا أعلمُ أنَّكَ هَا هُنَا

وأعلمُ أنَّك حيثما أكونُ تُلاحِقُني

ولكنَّنِي لم أعُدْ أقوى

مَاذا تُريدُ إذاً ؟

أَيُمكنُنا أَنْ نظلَّ هكذا

واحدٌ فِي الجحيمِ

وواحدٌ فِي الأثيرِ

وأنتَ تطغى

؟

5

هذا الصَّبـاح تنبَّـهتُ إلـى أنَّ رأسـيِ ، لاتسـتقرُّ تمامـاً علـى جسـديِ ، كـأنَّ أحـداً شَـرَعَ فـيِ الاسـتيلاءِ عليـها ، وتركَـها فجـأةً ، مُعلَّقَـةً ، فيِ الـهواءِ ، ربُمّـا لأننـيِ صحـوتُ ، على الجريمةِ ، فيِ اللحظةِ المناسبةِ ، لسـببٍ مـا ، وكشـفتُ مؤامـرةَ استلابيِ على حيـنِ غَفْلـةٍ ، ولكنَّنـيِ تقبَّلـتُ ذلِـك ، بكُـلِّ هـدوءٍ ، وجلسـتُ علـى حافـةِ السَّـريرِ ، مُطْرِقاً ، إلى أنْ غفوتُ ..

23 أغسطس 2001

لا أحدَ فِي السَّرِيرِ

لا أحدَ على الكُرسيِّ

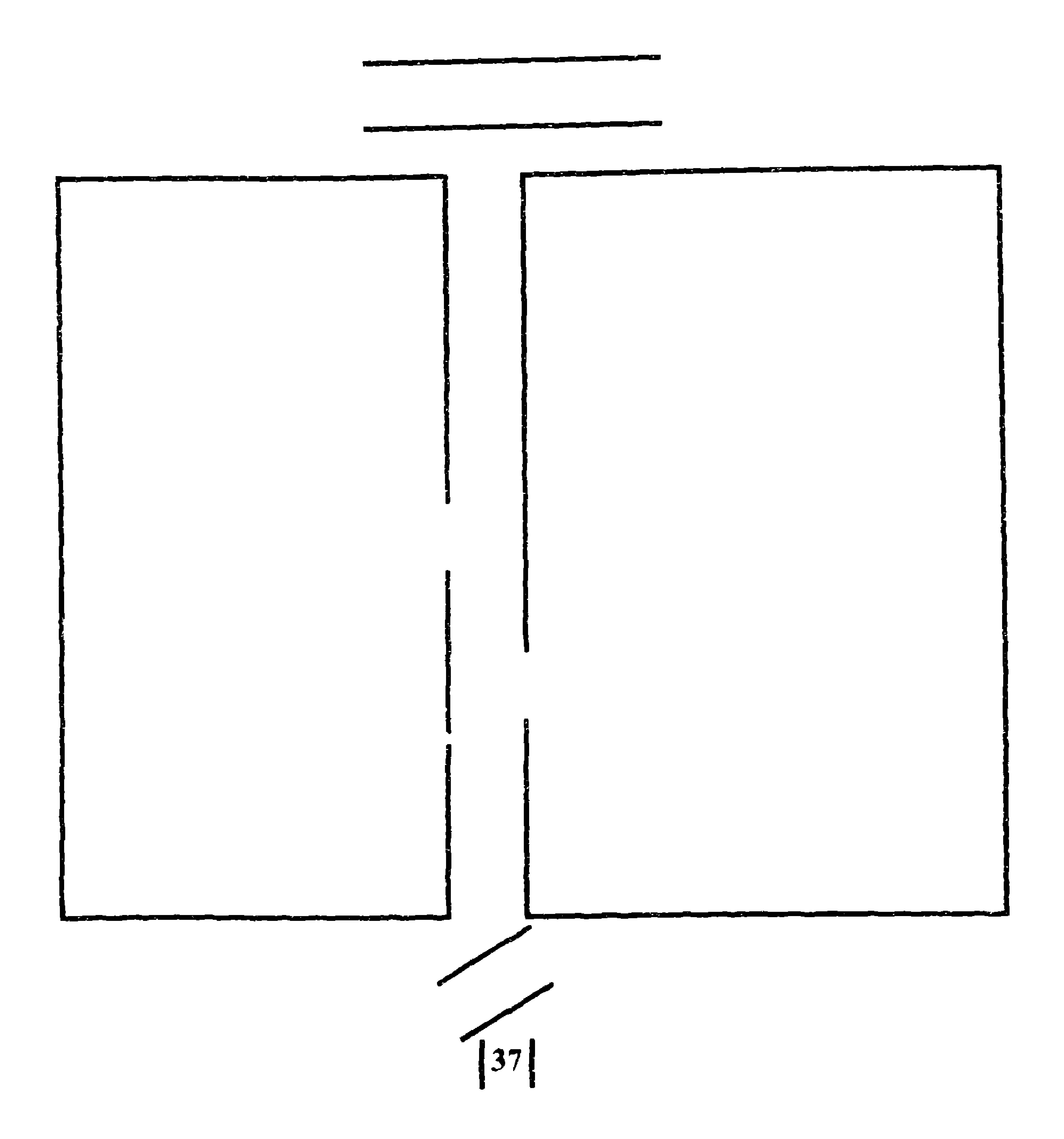
لا أحدَ يَذْرَعُ الحُجْرَةَ

لا أحدَ فِي المرآةِ

لا أحدَ فِي الحُجرةِ إطلاقاً

لا أحدَ سوى يقّينِي بالـ لا أحَدْ ..

7


37

أنا المسرحُ الحيُّ ، الذي تتعاقبُ عليه أدوارُ مُمثِّلينَ مُتَنوِّعينَ ، يُشخِّصونَ أعمالاً دراميةٍ ، شاسعةَ التَّنوُّعِ .

لا شَكَّ أنَّ كثيرينَ ، مِنْ قبلي ، عاشوا، في هذا الجسدِ، وأنني ، بالتأكيدِ ، عِشْتُ قبلَ هذا الجسدِ في كائناتٍ أخرى ، مِنْ قبلُ ، صحيحٌ أنني لا أستطيعُ أن أتذكَّرَ مِنْ حيواتيِ المفقودةِ ، على وجْهِ الدّقةِ ، أشياءَ ، ولكنّني على يقينٍ بأن عديدينَ مِنّي ذهبوا ، على التوالي ، وبقيتُ وَحْدي ، وأنّهم يتوافدونَ عليَّ ولا أراهُمْ ، ومع هذا فلم أزلْ قادراً على الحياةِ ، وأحياناً أتطلّعُ إلى صورٍ قديمةٍ لي ، في مناسباتٍ مُختلفةٍ ، وأستغربُها ، مُتأكّداً مِن أنّها لأشخاصٍ وهميينَ ، ويُخيَّلُ إليَّ في كثيرٍ أنني لم أظهرْ في أيِّ صورةٍ لي ، والغريبُ أنني كلّما عثرتُ علَى كتابةٍ لشريفٍ منّي ، تأكّدتُ أكثرَ أنَّ حرائقي لم تزلْ هِيَ هِيَ ، وأنَّ حرائقيِ الحاليّةَ تتطوّرُ ، تدريجياً ، صُعوداً إلى ما بدّدني ، مِراراً ، مِنْ عُهودٍ ، بائدةٍ ، شَريفاً ، بعدَ شَريفٍ .

يقيناً أنني لستُ في هذا الجَسَدِ ، يقينـاً ، ولا عِلْمَ لي بأيِّ طريقـةٍ تولَّيتُ ، ولا أينَ توجَّهتُ ، ولا أنا بمُستطيعٍ أنْ أتخيَّلَ كيفَ ذلك تمَّ ، المهمُ أنني مُتأكّدٌ مِن أنني لستُ هُنا ، وبالأمسِ فقطْ ، تنبَّهتُ إلى سُؤالٍ مفاجِئٍ وغريبٍ ، ومُستحيلٍ كذلكَ ، يُلاحِقـني كسكيْنٍ ، فهل أكونَ ، بالفعلِ قَدْ مِتُّ ؟ وكيـفَ هـذا ، ولم أزلْ أعـي بأنني لم أعُـدْ موجوداً ، أعي تماماً ، كيفَ ، إذاً ؟ .

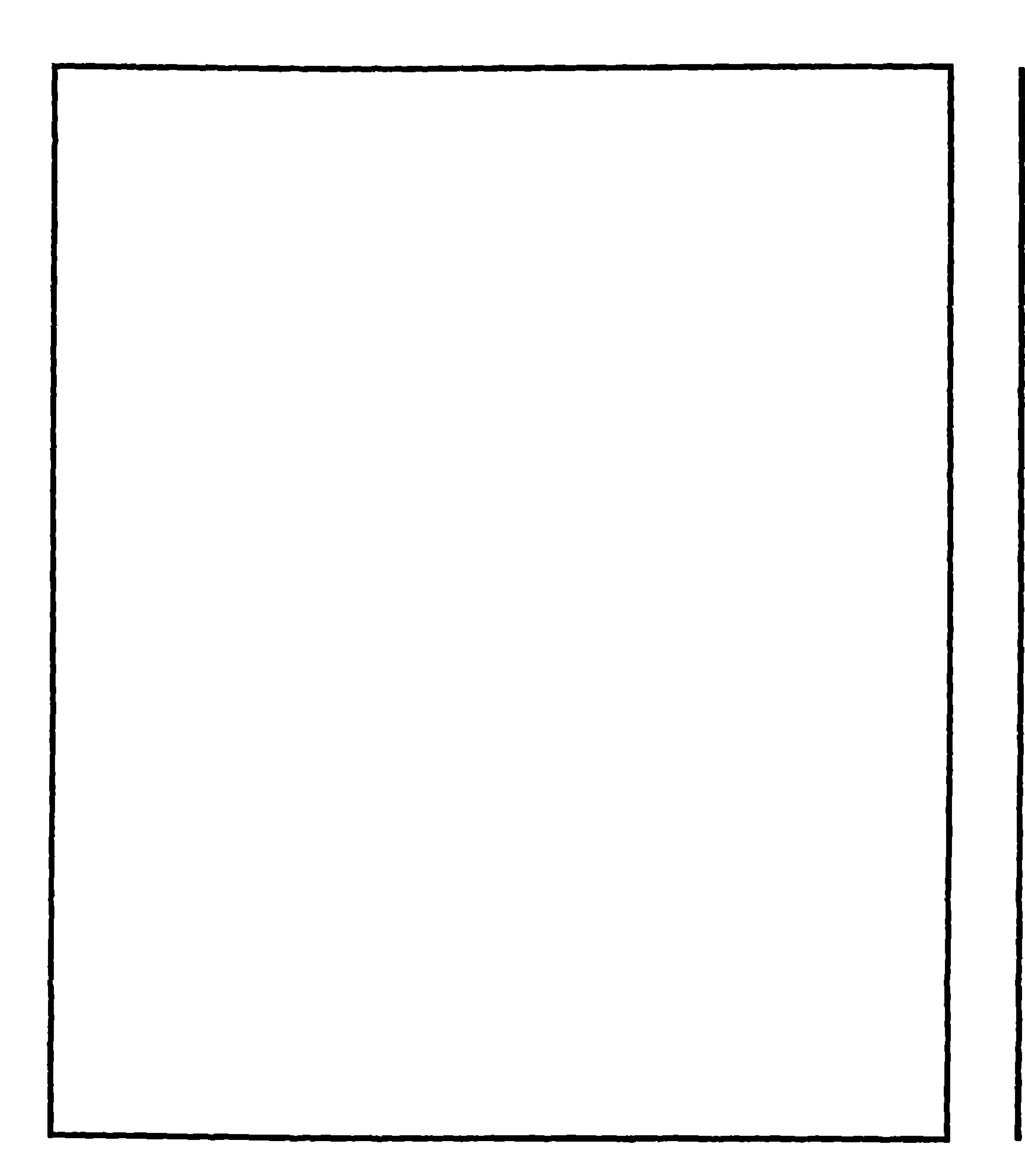
يتملكني هذا الصباح شعورٌ مُتجبِّرٌ بأنني عِشتُ هذه الحياةَ كما هِيَ تماماً ، وأنَّ كُلَّ ما فيها مُتكرِّرٌ ، ورَتيبٌ ، ولا ينتهي .

هَلْ يُصدِّقُ أحدٌ أنّي رأيتُهُ أمامي ، خَارِجاً مِنَ المرآةِ في قُدرةٍ هائلةٍ علىِ التّشبُّهِ بي ، ولكنّني لم أنخدعْ ، حدّقتُ في عينيْهِ ، فحدَّقَ ، رفعتُ يُمنَايَ ، فرفعَ ، في المقابلِ ، يُمناهُ ، تماماً ، حَرّكتُ وجهي ، فحرّكَ ، تماماً ، معي ، تبادلنا التّمعُنَ ، ولكنّني لم أنخدعْ ، ولا توتّرتُ ، ولن أسمحَ له أنْ يحتلّ وجوديَ الشّاغِرَ ، إطلاقاً ، ولو للحظةٍ ، لحظةٍ واحدةٍ . إطلاقاً .

هذا الصّباح شعرتُ بِهِ فِي كلِّ خُطوةٍ ، مَعِي ، وأخيراً رأيتهُ يفعل كلَّ ما أحِسُّ أنّنِي أفعلهُ ، كأنَّ شخصاً يتصرَّفُ أمامَ المرآةِ ، كانَ صورةً طِبْقَ الأَصْلِ مِنْ جسَدِي ، قَلّبتُ فِي أوراقٍ ، وتَصَفّحتُ كُتباً ، صَنَعْتُ كُوْباً مِنَ الشّاي ، ووضعْتُهُ على الطّاولةِ ، فأصبحَ الكُوبُ بيننا ، رفعتُ الكُوبَ فِي يدي ، مُغْمِضاً ، وشرعتُ فِي ارْتشافِهِ ، وكنتُ أتسمّعُ ، بكلِّ خلايايَ ارْتشَافَهُ ، فِي هدوءٍ ، وكانَ الكُوْبُ فِي يدِي ، وشعورٌ مُتزايدٌ باللاوجودِ ، والاسْترخاءِ ، يملئونِي ، شيئاً فشيئاً ، فِي هدوءْ .

أنا حتى الآنَ لا أستطيعُ أنْ أجْزِمَ تماماً إذا ما كُنتُ فِي الأَصْلِ ، حيَّاً ، وينتابُنِي موتٌ مُؤَكَّدٌ ، أم أنَّني ، فِي الأَصْلِ ، ميّتٌ ، وَأَصْحو ، على فتراتٍ ، قليلاً .

عَلى يقينٍ بأنّني لم يَعُدْ مِنّي سِوَى يقيني بِهَذَا الفَنَاءْ .



أنا الآنَ ، بالتأكيدِ ، في نوعٍ ما مِنَ الموت

حَيَوَاتٌ مَفْقُودَة

III

اِسْمُهُ شَرِيفُ

كلّ صباحٍ ، يسيرُ ، وَحْدَهُ ، فيِ هُدوءٍ

يُمناهُ فيِ جيبِ بنطلونِهِ، وفيِ يُسْراهُ

أشعارُهُ ودواوينُ جديدةٌ

شَارداً

كأنّما يتسمّعُ للغيابِ

طِيْلَةَ الطَّريقِ إلى كُليةِ التَّربيةِ

وحيداً كالِظّلالِ

هكذا ظلّ شَرِيفُ على حالِهِ

ولم ينتبهْ

للبياضِ الذيِ انتشرَ فيِ جنباتِ رَأسِهِ كالْحريقِ

مَرَّةً واحدةً رأيتُهُ

يتكلّمُ مُحتّداً وصاخِباً

ومِنْ فرحتيِ

كتبتُ على الحائطِ بجانبِهِ

تاريخَ ذلكَ اليومِ :

الحاديَ عَشَرَ مِنْ سبتمبرَ

عَشِقتُ شَرِيفَ حتَّى تخيلتُهُ أنَا

وأنني مَحْضُ راءٍ لي

مَحْضُ وعيٍ بِشَرِيف

وهاهُو شَـــــرِيفُ :

مُنزوياً ، بجوارِ النَّافذةِ ، جالسٌ

هو الذي لا تأخذُهُ سِنَةٌ

حتىٌ أمسى أنيسَ الظَّلامِ

والمصباحِ الذي ينزفُ روحَهُ في الخَلاَءِ

وبابِ المدرسةِ المغلَّقِ على الظَّلامِ

وهواءِ النهَّاياتِ

وكلبٍ لا يكفُّ عن العُوَاءِ

تحتَ النافذةِ

وحيداً

المرجَّحُ أنني لستُ إطلاقاً في شَرِيف ؛ وربَّما كنتُ في راويةٍ ما منه يوماً ؛ ولهذا أتبدَّى أحياناً في نصوصِهِ ، ولكنني بالتأكيدِ لم أعُدْ فيه حالياً ، أنا مثلُهُم أعرفُهُ ، ولكنني لستُ فيما يعرفونه ، هو نفسُهُ لا يراني ، ويستهلكُهُ آخرٌ من أشباهي الذين لم يعودوا من الجحيمِ ، وارحمتاه لشريف !

هذا الذيِ – منذ عَشْرِ دقائقَ – يسيرُ بجانبيِ

من شارعٍ إلى شارعٍ

لم أكنْ أُدركُ أنَّهُ شَرِيفُ

كان يجوارُنيِ بهدوءٍ ، كأنّه الطَّيفُ ،

أو كأنّه لم يكُنْ معيَ، أصْلاً ،

ويُسلّمُ على الأصدقاءِ ، فيِ الطريقِ ، باعتبارهِ

شَريف

كنتُ أعلمُ أنّه أنا مَرَّةً أُخرى

غير أنَّ الذيِ ظلَّ يُفزعنيِ ، فيِ الطريق ، بجنونٍ

هوَ مَنْ أنا الآنَ أكونُ ؟.

وَاسْتطعتُ أخيراً أن أرى نفسيِ تماماً

إنني رأيتُهُ، وقد تملّكنيِ الرُّعبُ

ولا زلتُ أرتعدُ حتَّى الآن .

I

قرَّرت أنْ أدوِّنَ نصاً في أسطورةِ الذَّاتِ التي لا تنتهي

وأن أُسمِّيَ شخوصَهُ جميعاً بـ شَريف

هؤلاءِ الذين يعيشونَ لي وحدي

ولهم جميعاً بعثرتُ نفسي

وَآخِرُ ما يجبُ أن يشغلَني في الكتابةِ

هو التجنيسُ النِّهائيُّ للنَّصِّ

تصوَّرْ يا علاءُ

أن نعيشَ النَّصَّ كالحياةِ

أحرارا

أحرارا .

أغثني من ذلك الإلهِ

ذي وجه الكلبِ

الذي له حواجبُ بشريةٌ

والذي يعيشُ على أشْلاءِ البشر

يحرسُ المتسكعينَ في بحيرةِ النَّار

يبتلعُ الجثثَ

دون أن يُرى

حارسِ الظَّلامِ في الغموضِ

مُرعبِ المَرْهُوفِيْنَ

؟

كُنَّا على هذينِ المقعدينِ معاً

أنا وشَرِيفُ

مُحاصَرَيْنِ بإرهابِ مُحاربةِ الإرهابِ

شَارِدَيْنِ كَجمرتينِ

ولا أعْلَمُ الآنَ أيَّنا غادرَ الآخرَ بغتةً

ولم يعُدْ .

لعلَّهُ هُوَ !

شَرِيفُ

بإطراقتِهِ المستدِيمةِ

على المقعدِ الأخيرِ

هُوَ !

شَرِيفُ

حينَ رأيتُهُ قلتُ :

لعلَّه ماتَ سهواً

. من جديدٍ .

هُنَا !

مرَّةً أخرى .

II

قَرَّرتُ فيِ هذهِ الليلةِ أن أجمَّعَ كلَّ الأناسِيِّ الذينَ
عشتهُم مِنْ قبلُ ، فيِ وليمةٍ عامِرةٍ ، فوقَ هذه الأنقاضِ ،
احْتفاءً بانْهيار (النظامِ العالميِّ الجديد) ...

سنغتبقُ حتَّى مَطْلَعِ الفجرِ
ونزدردُ الصَّواعقَ علَى مهلٍ
هُنا
وأصرخ بينهم :
ـ هُمُ الصَّاخبونَ المرحونَ السَّكارى ـ :
أنتُمْ يا مَن هُم أنا !
" التقطوا فئوسَكُمْ
ومعاولَكُمْ
ومطارفَكُمْ
وحطِّمُوا !
حطِّموا المدنَ المبجَّلةَ ، بلا رحمةٍ

هيَّا !

أضرموا النَّارَ فيِ أرففِ المكتبةِ !

اقلبوا القنواتِ

لتُغرِقَ المتاحِفَ !

دعوهم يأتونَ

مُضرمِيِ النَّار الفرِحينَ

بأصابِعِهِم المسفوعةِ !

هاهُم ! هاهُم !"

توغَّلوا ، وأفيضوا !

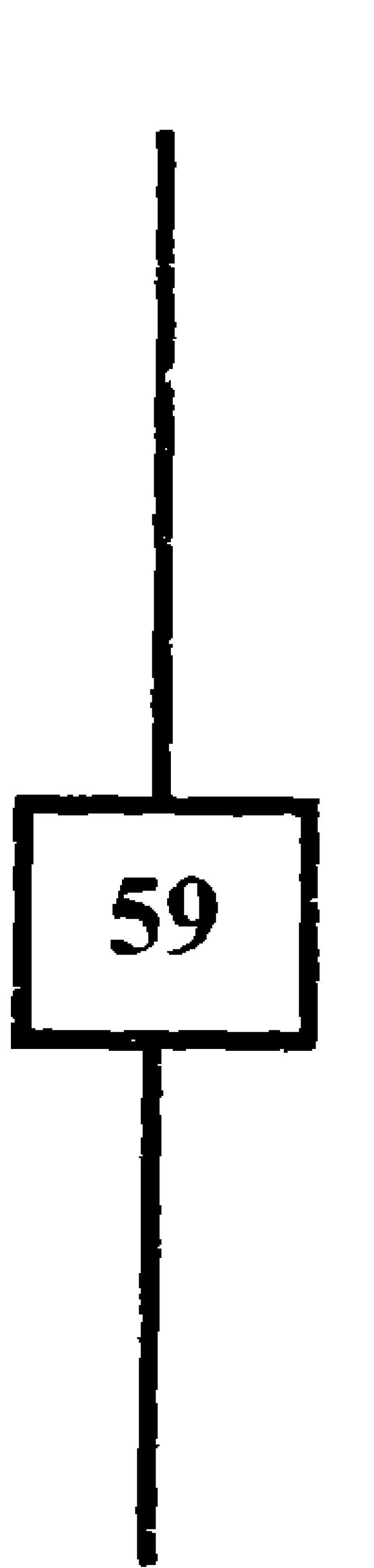
سنقومُ ونستشرفُ القادمينَ فيِ الضَّبابِ سنصرخُ

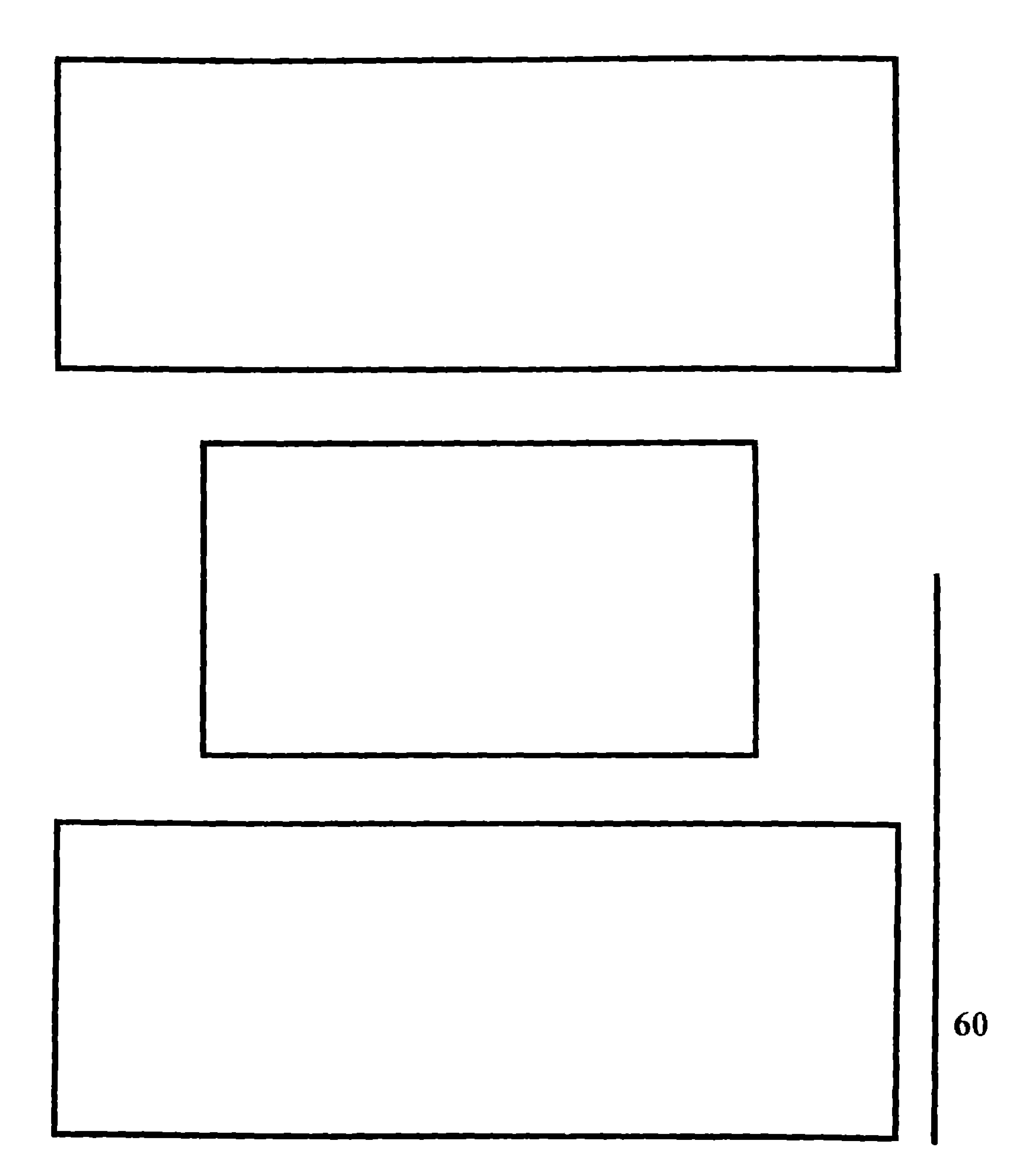
نصرخُ ، وحدَنا ، فيِ العَرَاءِ :

كُلُّ أفعالِكُمْ فضائحُ
كُلُّ أمجادِكُمْ جَرَائمُ
" كُلُّ الكتابةِ قذارةٌ
كُلُّ النَّسلِ الأدبيِّ خِنزيرٌ
وخصوصاً نسلُ أيامِنا هذه " .

سنصرخُ في رَحِمِ الظَّلام ، بِلا رحمةٍ :
نحنُ بلا حاجةٍ إلى ذلكَ المجدِ .

ونُضاجِعُ الرِّياحَ ، في نَهَمٍ ، سكَارى .




60

إشارات

ص: (16) : " وجمعتُ فيِ ذلك المشهدِ " من : (المننِ الكُبرى) للشَّعرانيِ .

ص: (17) : " وما أنتم فيِ تصديقِ هودٍ " لشعبان المجذوب .

ص: (18) : " تنبَّهتُ بإلهامٍ خاطفٍ " من (كتاب اللاطمأنينة) لفرناندو بيسّوا ، بترجمة : المهديِ أخريف .

ص: (22) : (المكابدات) : نُشرتْ هذه الأجزاء - منها في مجلة (إبداع) ، أغسطس 1989 ، ومعظمها في قيد المفقود ،حالياً .

ص: (38) : " أنا المسرحُ الحيُّ " من (كتاب اللا طمأنينة) لفرناندو بيسّوا .

ص: (53) : " و اَستطعتُ أخيراً أن أرى نفسيِ تماماً " من قصة : (الهورلا) لجيِ دي موباسان ، بترجمة : محمد عبد المنعم جلال .

ص: (54) : " أغثنيِ من ذلكَ الإلهِ " من (كتاب الموتى) .

ص: (57) : " التقطوا فئوسكم ومعاولكم " منسوبٌ إلى المستقبَليين الإيطاليين ، فيِ مقدمة القرن العشرين / عن (الحادثة أمس واليوم وغداً) لمرشال بيرمان ، بترجمة : جابر عصفور .

ص: (59) : " كل الكتابة قذارة " من : (ميزان الأعصاب) ، لأنطونين أرتو ، بترجمة : صباح الخرّاط زوين .

تمَّ إنجازُ هذا النَّصِّ بين يونيه 2001 وأغسطس 2002

صدر للشاعر :

- عُزلةُ الأنقاض ، قصيد ، طبعة أولى ، 1994
- لا تطفئ العتمة ، قصيد ، طبعة أولى ، 1996
- مجرّة النّهايات ، قصيد ، طبعة أولى ، 1999
- الجُثَّة الأولـــى ، قصيد ، طبعة أولى ، 2001

يصدر :

- أنتَ أيُّها السَّهو ، أنتَ يا مهبّ العائلةِ الأخيرة .
- الجسد الفارغ .
- النَّصُّ الجامعُ ، فيِ تجلياته الإبداعية المتوالية ، فيِ الأدب العربيِ .
- مراحلُ الخروجِ من بيتِ الشِّعر .
- نظريةُ الأنواعِ الشِّعريةِ ، وتجلياتُ فنائِها
- تحوُّلاتُ القصيدةِ العربيةِ ، فيِ الرُّبع الأخير من القرن العشرين .

من قائمة الإصدارات "شعر"

العنوان	المؤلف
أنشودة للبكاء	إبراهيم أبو طالب
رويداً باتجاه الأرض	إبراهيم زولي
حرير الوحشة	أحمد زرزور
سبع سحابات (دانتيللا السماء)	إدوار الخراط
الأرض لكل الناس	إهاب حسني
إيه معنى إن الحجر بيخوف المحتل	أمي الديب
قصائد حب من العراق	إعداد : بثينة الناصري
مختارات	جليلة رضا
رعشة كأس	جمال إسماعيل مدكور
من أعلى بمحاذاة الموسيقى	جمال القصاص
وتر الأرجوان	جمال محمود بخيت
اعترافات شاعر	حسين محمد منصور
عدفلن ـ غدٌ	حنان عبد القادر
لا تدعني ارتحل	حنان عبد القادر
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطي
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطي
تماماً إلى جوار جثة يونسكو	رشيد العمري
كأنها نهاية الأرض	رفعت سلام
ومن لا يعرف ريتا !	ريتا عودة
يوميات غجرية عاشقة	ريتا عودة
تصبح علي خير	سعدني السلاموني
لن اغربي لداخلي	سلمان الشعشاع
الألوان ترتعد بشراهة	شريف الشافعي
حيوات مفقودة	شريف رزق
صلاة المودع	صبري السيد
دنيا تنادينا	طارق الزياد
تلف	ظبية خميس
البحر . النجوم . العشب في كف واحدة	ظبية خميس
أصدقاؤك مروا من هنا	د. عاشور الطويبي
العصافير الناجمة عن المشي	عباس منصور
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافي
تباريح	عبد الفتاح البشتي
قسمات الرمل والورود	عبد الفتاح البشتي
يوم مات زهر الليمون	عبد الله أبو حسين
أسفل المر	عبد الله عرايس
حواديت لغندي	عصام خميس
سيرة الماء	د. علاء عبد الهادي
الرعام (أوراد عاهرة تصطفيني)	د. علاء عبد الهادي
راتب الألفة	علوان مهدي الجيلاني
على المواجع	علي السويدي
إضاءة في خيمة الليل	علي فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
اعتقال المدى	عمر غراب
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
كلام شوارع	عنتر هلال
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
أحوال الفتى الطائر	فاروق خلف
بيت يمر بالبراري	فاروق خلف
العالم يستبدل ثيابه	فرج أبو شينة
مادامت الأرض تدور	فرج أبو شينة
على مفترق اليقظة والحلم	فيصل سليم التلاوي
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوي
بقى على حبك باقية	ترجمة : فيصل الياسري
لسه الأغاني ممكنة	كوثر مصطفى
اذهب قبل أن ابكي	د . لطيفة صالح
تية المستريب	مجدي أبو زيد
القرية والعشق	مجدي رياض
مشاعر همجية	محسن عامر
ديوان بدران	د. محمد أبو الفضل بدران
مس الكلام	محمد الحسيني
ونس	محمد الحسيني
غربة الصبح	محمد الفارس
حبيبتي والخيل الصغيرة	محمد صلاح الدين
الهايكو - رحلة حج بوذية (شعر ياباني)	ت. محمد عيد إبراهيم
نهايات	ترجمة محمد عيد إبراهيم
الشعر في زمن العولمة	محمد ليلة وآخر
ليالي العنقاء	محمد محسن
لو أنك يا حب تجيء	ناجي عبد اللطيف
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لي	نادر ناشد
أجمل الألهات تبكي (نصوص)	نداء حوري
النهر الأول	هيثم حشبة
عروس خلف القضبان	وجدي أبو الريحة
الأمل وأحلام النورس	ياسر الفيل

بالإضافة إلى العديد من الكتب الأدبية : رواية .. قصة .. شعر .. دراسات ونقد
وكتب متنوعة : سياسية ، قومية ، دينية ، معارف عامة ، تراث ، وأطفال .
خدمات إعلامية وثقافية

الآراء الواردة في الإصدارات لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز

شريف رزق

حيوات مفقودة

